الكتب

ثمار المطابع :

٨٩ شهراً في المنفى
١٩٣١ – ١٩٣٨

تأليف الأستاذ محمود حسني العرابي

لو كان مؤلف هذا الكتاب أوروبياً أو أمريكيا لنال من ‍امة الذكر وذيوع الصيت قسطاً وافراً ملحوظاً ! ولو أن ‍احبه أزجاه — إذ قدمه لقراء العربية — على أنه ترجمة لمغامرات ‍جليزى أو فرنسى أو أمريكي لاشتد إقبالنا على الكتاب ، وازداد كبارنا لصاحبه ، وعظمت في عيوننا شخصيته ، ولشمر الكتاب ‍ن سواعد الجد والنشاط ، ونطلقوا يعددون مآثر ذلك المغامر ‍فرنجى ، وراحوا ينعتونه بنعوت البطولة والمجد ، وخلعوا عليه ‍فات الشرف والإباء والمصابرة !

ولكن هذا الكتاب ليس سوى بعض ما صادفه الأديب ‍كاتب المعروف الاستاذ محمود حسنى العرابى فى حياته الحافلة ‍ن ألوان الشدائد والصعاب ، وضروب التجارب والمغامرات ، ‍ذ رحيله مكرها عن أرض وطنه الأول العزيز فى عام ١٩٣١ إلى ‍ شاءت الظروف عودته إلى أحضانه فى غضون عام ١٩٣٨ ، ‍يل اندلاع نيران الحرب الأخيرة .

وقد أجمل المؤلف الفاضل فى فصول هذا الكتاب الضخم ‍سف ما صادفه وما ألم به طوال مرحلة اغترابه عن مصر فى عبارة ‍يقة عذبة وأسلوب قصصى أخاذ ، تتجلى فيه شخصية صاحبه ‍ى نحو يندر الاهتداء إلى نظائره فى هذه الأيام !! فهو يمتاح من ‍جاربه ويكتب دون حاجة ملحة إلى اصطناع الخيال أو التأنق فى ‍وصف الفنى ، ذلك أن الأيام التى مرت به فى غربته قد احتشد ‍ها كثير من الأحداث التى يعجز الخيال الموغل عن تصور بعضها ، بل إن فى بعضها ما يفوق الخيال الذى يتخيله القابعون فى عقر دورهم ، والمتعصمون « ببروجهم العاجية » الأنيقة المترفة !

ولقد سجل الأستاذ العرابى حوادث تلك الفترة العاصفة من حياته الدائمة الصخب والضجيج تسجيلا فنيا لم نحظ بمثله — كما قدمنا — فى كثير من كتب المغامرات عند الأوربيين ! ولقد جعله على نسق القصة ، فروى لنا حوادث تلك الفترة من حياته منذ غادر أرض مصر ، إلى أن قضى الله بأن يؤوب المغترب إلى أحضان أمه سالماً ، وسرد فى غضون ذلك ما قاسى من آلام وغصص ، ونوه بما صادفه من عقبات وما عاناه من أوصاب ، ولم ينس أن يفضى إلى القارئ ببعض غرامياته وصداقاته التى هونت عليه أهوال الغربة وغصص الحرمان والفاقة !

وفى الكتاب تصوير صادق لحنينه إلى الوطن . فقد حدث وهو فى محنته ببرلين ، أن قدم رهط من المصريين لشهود مهرجانات الألعاب الأولمبية التى أقيمت بالعاصمة الألمانية عام ١٩٣٦ ، وتصادف أن جلس ذات مساء فى مقهى بها ، إلى مائدة مجاورة لمائدة جماعة من أولئك المواطنين الزائرين الذين أنطلقوا ينتقصون وطنهم فى غير رحمة ، ويبدون إعجابهم بعظمة الحضارة الألمانية ، ويعربون عن أملهم فى الإقامة ببرلين ، ينهلون من مفاتنها ، ويقبسون من سنى حضارتها ولألائها ؛ فانبرى لهم يسفه آراءهم وينصح لهم بالإبقاء على حب أمهم الرءوم مصر ، والعودة إلى أحضانها حيث يعملون على الرقى بها إلى حيث العلا والفلاح . واشتبك معهم فى حوار رائع حقاً ، تجلى فيه حنين المغترب المحروم إلى وطنه النائى العزيز . ولولا معرفة صاحب هذا القلم بالأستاذ العرابى . وإدراكه مبلغ ما تنطوى عليه نفسه الشاعرة الحساسة من هوى مضطرم لا حد له بمصر وكل ما يتصل بمصر ، لخال ذلك ضرباً من الإيغال فى الخيال ، أو نوعاً من المبالغات التى يعمد إليها الكتاب فى معظم الأحيان توسلا بها إلى ترويج بضاعتهم المزجاة !

والجزء الثالث من هذه الذكريات قد وقفه الكاتب على نشاطه فى سبيل العروبة والعرب ، وهو فى منفاه ؛ ففيه سرد مسهب مفصل لنشاطه حينما تولى رياسة النادى العربى فى برلين ، ذلك النادى الذى بذل المؤلف من وقته ونشاطه ما عاد عليه بالنجح

والتوفيق في أداء رسالته الثقافية والرياضية ، أما عن النشاط السياسي لذلك النادي ، فيكفي الإلماع إلى مظاهرته قضية فلسطين وتأييده الصادق لها في فترة الاضطرابات التي عمت البلاد المقدسة قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية .

هذا والأستاذ المؤلف لا يعرف التأنق في العبارة ، ولا يعشق المبالغة في إظهار عواطفه ، وأسلوبه خير شاهد على ذلك الصدق الفني المنقطع النظير .

والحق أن المكتبة العربية لتفخر بتلك الذكريات الحاشدة الحافلة ، وترحب بها كل ترحيب ، وتفسح لها مكاناً بارزاً مرموقاً ، وترجو لها الذيوع والانتشار الجديرين بأمثال هذه الدراسات الجادة المنطوية على التجربة الصادقة والنظرة المستقيمة المستوية ، والروح المؤمنة المطمئنة إلى عدالة موقفها وعدالة قضية بلادها ، وأحقيتها في الحياة الحرة الكريمة .

مختار الوكيل

أنات غريب

تأليف الأستاذ حبيب الزحلاوي

كان أدب الأقصوصة إلى وقت قريب هو أكثر الآداب تأخراً في اللغة العربية ، ولعل للسينما أثراً كبيراً في هذا التخلف ، فقد كانت تخطف كل نجم تأمل فيه الخير حتى احتسبنا الله في الأقصوصة وقنعنا من الأدب بألوانه البواقي الأخرى .

قد كان ذا .. حتى خرج إلينا الأستاذ حبيب بهذه المجموعة الأخيرة فإذا بها ترد إلينا أملا كدنا نفقده ، وتطمئننا أن للأقصوصة أصحابها .. والأستاذ حبيب أديب مطبوع بارع في حبكة قصته ، ماهر في إيجاد العقدة وحلها ، وهو بعد ذو قدرة فائقة في التمسك بقارئه حتى ينتهي من قصته .

ليس من الميسور أن أتكلم عن جميع الأقاصيص التي دبجها الأستاذ حبيب في مجموعته الأخيرة ولكنني في قصته الثانية لاحظت له رأياً متطرفاً بعض الشيء نظم فيه قواعد عامة للقصة يصعب علينا أن نقبلها مرة واحدة .. وقبل تأمل هذه القواعد يطيب لي أن ألفت الأستاذ حبيباً — وهو أستاذ لا مراء — إلى أن صفة الأستاذية يجب علينا نحن أن نضفيها عليه منزلين بذلك الأمر في منزله ، أما إذا قالها هو عن نفسه فإني أخشى أن يظن الجاهلون أننا لا نعطي ذا الحق حقه حتى في الأدب .

عنوان هذه الأقصوصة « دميم » وهي في ذاتها جميلة .. ولكنه حين ساقها قدم لها بنقاش بينه وبين شاب من شداة الأدب ، وكان الشاب يستنكر على الأستاذ حبيب دعواه بأن الأقصوصة لابد لها من عقدة وحل وحبكة ووحدة زاعماً — أي الشاب — أنه مريع الخلق لأشخاص روايته قوي الديباجة في عرضه للقصة وهو قانع بهاته المواهب معتقداً أنها فوق الكفاية ؛ ثم هو يعرض على الأستاذ حبيب مثالا هزيلا يستطيع أي قارىء أن يهدم الصلة بينه وبين القصة غير محتاج في ذلك للأستاذ حبيب ليظهر زيفه ويقارن بينه وبين أقصوصته الكاملة « دميم » التي خلقها في جلسته ليقنع الشاب بتفوقه عليه .

ولكن أيعتقد الأستاذ حبيب حقاً أنه لا غنى للقصة عن العقدة والحل ؟ ! فماذا نسمي « غاية المرأة » .. أهي أقصوصة أم مقال .. وإن كانت أقصوصة فأين العقدة .. فإن رضينا بحب الفتاة لرفيق صباها الذي ظهر فجأة عقدة .. فأين الحل ؟ ! .. لا والله إنها أقصوصة رائعة كل الروعة ولكنها ما زالت بغير عقدة ولا حل . « غاية المرأة » هذه أقصوصة يعالج فيها الأستاذ حبيب فتاة على أبواب الزواج ويتعمق نفسيتها من يوم أن تعرفت بخطيبها حتى ولدت منه .. وكم كان الأستاذ حبيب بارعاً في عرضه هذا ! وكم كانت ريشته دقيقة في رسم الخلجات المتنافرة التي تمر بها نفسية الفتاة الشابة !

والأقاصيص الأخرى كلها من هذا النوع في السمو .. تهدف جميعها إلى غاية ، وتخرج من أبها بعبرة .. وهذا لون من ألوان القصص .. ولكنه لا يمنع القصص غير ذات الهدف أن تكون هي الأخرى جميلة .. ولا يمنعنا نحن أن نقدر الطاقة الفنية المبذولة في هاته القصص .

« أنات غريب » عنوان يجبه القارىء ويوقفه مشفقاً على هذا الغريب يعز عليه أن يحل بمصر عربي أديب ويطلق في أجوائها الرحبة أنة مهما خفتت .. وهي التي تنزل الضيوف جميعاً أهلا فكيف بالأديب .. ولكن قبل هذا التساؤل .. أهو غريب ! . أيحل أي منا غريباً بأي قطر عربي !.. لا والله كانا فيه الأهل . دارت بذهني هذه الأسئلة وما زالت به تدور حتى قرأت الإهداء فأثر قتصنفي واستقرت .. لقد كان العنوان ابن غمامة زائلة بددتها شمس مصر الضاحكة فأطلقت أستاذنا حبيباً مشرقاً ضاحكاً

ثروت أباظة